

تغول جهاز مخابرات الحزب

باراستن) ل KDP والمنطق القبلي 3-4

أيوب بابو بارزاني. 29.3.2022

كان هناك شيء من التهور في مواقف النخبة الكردية المثقفة في قيادة (حدك) عندما تتعرض لضربات من قبل رئيس الحزب، فالصراع المسلح بين رئيس الحزب ومكتبه السياسي يظهر مدى جدوى وجود دستور للحزب من عدمه، رئيس الحزب لم يتعود على منطق الحوار الهادئ البتاء وفق ما ينص عليه دستور الحزب، ولا ننسى العناد الشخصي الذي لا يقبل بتحكيم العقل في ترجيح مصالح الشعب الكردي على الغايات الشخصية الضيقة. وهنا نشهد بوضوح تجاوز جميع (المحرمات أو المقدسات) الوطنية والقومية والأيدولوجية وحتى العشائرية من أجل دحر الطرف الآخر الذي ينتمي لنفس الحزب والقومية ويرفع نفس الشعارات! فالحركات التحررية الأصيلة في العالم تفادت الوقوع في انتهاك المحرمات الوطنية والقومية على عكس قيادة (حدك) التي انتهكت مرارا وتكررا المحرمات في مناسبات عديدة. ففي حين لجأ المكتب السياسي القديم ل (حدك) الى بغداد 1966-1970، بنى جناح (ملا مصطفى) والذي تفرد بالسلطة المطلقة على الحركة الكردية علاقات متينة مع السافاك الإيراني الى حدود أفقدته استقلالية القرار وتحول الى أداة في خدمة الاجندات الإيرانية، فأشعل الطرفان على أرض كردستان حرباً أهلية باسناد إيراني - عراقي وسقط المآت جرحى وقتلى من الطرفين في حرب زعامات كارثية واستمر العدا الى حين صدور بيان 11 آذار عام 1970. في الواقع لم تبقى هناك "ثورة أصيلة" حتى قبل هزيمة 6 آذار 1975.

وحسب ما كتبه شكيب عقراوي فقد بنت قيادة (حدك) مبكراً العلاقات مع (السافاك): "في نهاية عام 1962 كانت قد نشأت العلاقة (بعلم من البارزاني وموافقته بين المكتب السياسي ل (حدك) وحكومة محمد رضا بهلوي شاه إيران" وأن ال (سافاك) يتولى تنظيم هذه العلاقة". (سنوات المحنة في كردستان، شكيب عقراوي، مطبعة مناره، 2007، ص 148)

ساهمت المخابرات السرية البريطانية وفيما بعد ال C.I.A الأمريكي و ثم (الموساد) الإسرائيلي في تشكيل وتطوير السافاك الإيراني، وهو في الجوهر جهاز قمعي معاد لحركات التحرر الوطنية ولحماية نظام الشاه الدكتاتوري والأخير بدوره كان في خدمة الغرب الامبريالي، وهذا الجهاز هو الذي ساهم وأقام دورات تدريبية لما سمي ب (باراستن) التابع لقيادة (حدك) ومن خلاله مارس نظام الشاه ضغوطه على بغداد، وبموافقة (السافاك) دخل على الخط الموساد الإسرائيلي ليضفي على جهاز (باراستن) بصماته الخاصة، وبعد تمتين العلاقة مع الموساد ألحّت القيادة الكردية الذهاب الى أبعد، فالتقى مبعوثين عن ملا مصطفى ب (ريتشارد هيلمز) في واشنطن مدير المخابرات المركزية ال (CIA) في 1972/6/30.

وكانت الزعامة الكردية في غاية الثقة بالنفس والانشرح عندما تصورت انها أكثر رسوخا وقوة بإضافة ال (CIA) الى قائمة السافاك والموساد، وظهر على مواقفها الغرور القتال! كان هناك شيء في عروق القيادة الكردية يدفعها نحو التبعية المطلقة للخارج ودون إدراك لمآلات هذا المنحى الخطر، وبرغم الجهود الكبيرة التي بذلتها زعامة (حدك) رفض (الميت التركي) الانخراط في التعامل كما كان الحال مع (السافاك الايراني) و(الموساد الاسرائيلي) الا انه كان على علم بما يجري ويراقب التطورات في كردستان العراق ويتدخل عندما يريد وبالأخص فيما يخص نشاطات الحركة الكردية في تركيا وعلاقتها بالأجزاء الأخرى.

والعامل الأهم الذي زاد من خطورة ربط مصير الحركة الكردية بالإرادة الخارجية هو عدم تبني (خطط بديلة) بسبب العقلية القبلية التي لم تستوعب طريقة وأهداف أجهزة المخابرات السرية للدول وقدرتها على التضليل، وخضوع القيادة الكردية لشهوة السلطة والمال وكان بعشرات الملايين من الدولارات وعدم الالتفات للأهداف الحقيقية لهذه المساعدات المسمومة. فأساس بقاء وتطور أية ثورة هي بناء (القوة الذاتية) لكن المنطق القبلي للزعامة الكردية كان ضد هذا المنحى بالكامل. ففي نظر الزعامة الكردية، الخارج هو أساس كل شيء وبدونه لا شيء.

ومنذ تأسيس جهاز ال (باراستن) والى يومنا هذا ترسخت ظاهرة التوارث السياسي للمناصب العليا والرئيسية في جهاز الحكم والحزب وبات وقفاً على الاسرة الحاكمة) يتوارث أبناؤها جيلاً بعد جيل. وكان له دور قمعي في الداخل الكردي من إبادة عائلة محمد آغا ميركه سوري، تضيق مساحة الحريات العامة، والتدخل في نتائج الانتخابات وتهديد المرشحين، اختطاف واعتداء على أساتذة جامعيين، قتل صحفيين واغتيال معارضين وإرهاب المجتمع والتفاهم مع مجرمي نظام صدام حسين وايوائهم وحمايتهم في أربيل واستقطاع مبالغ كبيرة شهريا من الأموال العامة، وهناك ائتلاف ترأسه الاسرة الحاكمة، يضم جهاز المخابرات ومؤسسة البيشمركة ورجال الأعمال الجدد، وهذا الائتلاف يسيطر على جميع المؤسسات السياسية والاقتصادية، قطاع النفط والغاز والتليكوم (الاتصالات النقالة) والمطارات والكمارك وجميع المشاريع العملاقة في الإقليم.

تشكيل جهاز (باراستن) في ظل الخوف من الفريق الآخر (جماعة المكتب السياسي القديم إبراهيم أحمد وجلال الطالباي) والخوف من أبناء الوطن وتشكيلاته الجديدة، أفقدته الروح الوطنية، ومن هنا تحوله الى قوة متواطئة مع أجنادات الدول الممولة ولحماية سلطة ومصالح العائلة الحاكمة وليس الوطن أو الشعب.

ولنرى ما حصل من انقلاب مخيف وصارخ في موقف الحركة الكردية بعد أن تعمقت العلاقة مع أجهزة المخابرات الأجنبية وبالأخص السافاك الإيراني الذي استخدم القيادة الكردية في اتجاهين:

أ. تبنت إيران تكتيك مصادرة استقلالية القرار السياسي للقيادة الكردية، وضمن مشاركتها في ضرب شقيقتها أي الحركة التحررية الكردية في كردستان الشرقية/ إيران ، وكان يقودها الحزب الديمقراطي الكردستاني / إيران. وهذا يعني ضرب حدك/ عراق ب (حدك/ إيران. وبمعنى آخر تكريد الحرب! وحدث شرح طويل الأمد في العلاقات الكردستانية في أجزاء كردستان الأربعة!

ب . مواصلة الضغط على حكومات بغداد خلال قيادة (حدك) لقبول المطالب الإيرانية في منطقة شط العرب والابتعاد عن المعسكر الاشتراكي والشيوعية والانضمام إلى الكتلة الغربية.

فقد قتل بأمر من القيادة الكوردية المسؤول القيادي البارز في (حدك - إيران، سليمان معيني في 1968/5/15 وسلمت جثته إلى السافاك الإيراني، كما زادت الضغوط على سكرتير الحزب أحمد توفيق إلى أن غادر إلى بغداد ليقتله نظام البعث فيما بعد. ثم أرسل رئيس الحزب قوات من البيشمركة إلى داخل أراضي إيران لملاحقة قوات الأنصار الكردية للحزب الديمقراطي الكردستاني في الفترة بين 1967 - 1968 فأنهت الحركة، وباختصار تم القضاء على الانتفاضة الكردية بالتعاون العسكري والمخابراتي مع السافاك الإيراني. وهكذا ترسخت العلاقات بين قيادة (حدك العراق وبين نظام (الشاه).

وفي كردستان الشمالية| تركيا، قتل في 1971/6/6 سعيد إيلجي القيادي في (حدك- تركيا)، ومرافقه محمد بكى في كردستان تحت سلطة القيادة الكردية في ظروف لاتزال غامضة و ثم قتل د. شفان ورفاقه بأمر من قيادة الحركة الكوردية في 1971/11/26. وتم اجهاض حركتين كرديتين شعبيتين أصيلتين في كردستان الشرقية والشمالية. وكان ذلك موضع ارتياح السافاك الإيراني والميت التركي. لقد تجاوزت القيادة الكردية الخطوط الحمراء وداست بقدميها على المحرمات الوطنية والقومية.

وفي شهر آذار من عام 1975 وقع شاه ايران و صدام حسين على الاتفاقية التي عرفت باتفاقية الجزائر وبموجبها تم تسوية الخلافات بين البلدين ولو مؤقتا، بينما انهت الحركة الكردية خلال أيام ونجت القيادة بكل سهولة مع ما جمعت من أموال بينما وقع الشعب الكردي في المصيدة نتيجة أنانية القيادة وجهلها و جسعها ولامبالاتها وعدم الالتزام بالمبادئ والقيم القومية والوطنية. كانت هزيمة 1975 أكبر كارثة في تاريخه! وأدرك الشعب الكردي بعد فوات الأوان جوهر القيادة التي كان يطبع أوامرها، بأن نضاله الشاق الذي دام 14 عاما، كان في خدمة مصالح الشاه والنخبة الكردية الفاسدة.

وفيما كان النظام البعثي في العراق قد بدأ منذ فترة بالترحيل القسري وتطبيق سياسة التعريب وهدم الريف الكردي على أوسع نطاق، حصل قتال ضروس في (هكاري شمال كردستان-تركيا) في صيف عام 1978 من أجل إعادة الزعامة على شعب تركوه وأذلوه وهربوا كقادة وأداروا ظهورهم لوطن يُهدم وقراه وحقوقه تُحرق، ودون رادع أخلاقي أو وطني أو انساني، وقُتل في تلك المعركة المئات من القياديين البارزين في سلك البيشمركة. وتحت أعين (الميت) التركي وبعلم من (السافاك الإيراني) وبانشر من نظام صدام حسين.